

أَبُو سَهْلٍ وَالْجَمَلِ

في كتاب التشوف لابن الزيات، استرعت انتباهي ترجمة لولي اسمه أبو سهل القرشي. هذا الولي ليست له شهرة تعادل من قريب أو من بعيد شهرة أولياء آخرين يرد ذكرهم في الكتاب، كأبي يعزى وأبي مدين. ثم إن ترجمته لا تتعدى أربعة أسطر، ومع ذلك أوقفنتني لأنها على قصرها أثارت في ذهني العديد من الأسئلة، وفي مقدمتها هذا السؤال الذي يدل على التعلق بالقصة والتعلق بما لا يمكن أن تجيب عنه القصة : ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟ ولعل القارئ سيساطرنني ارتسامي عندما سيطلع على نص الترجمة وعلى ما جرى لأبي سهل القرشي مع جمل من الجمال :

«وَرَدَ مِنْ بِلَادِ الْمَشْرِيقِ فَدَخَلَ الْمَغْرِبَ وَنَزَلَ بِرِبَاطِ تَاسَمَطِ مِنْ عَمَلٍ مَرَاكُشَ فَصَاتَ بِهِ. وَقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ يَتَبَرَّكُ بِهِ إِلَى الْآنِ. وَنَقَلَ الْخَلْفَ عَنِ السَّلْفِ أَنَّهُ جَاءَ مِنَ الْمَشْرِيقِ عَلَى قَدَمَيْهِ وَعَلَى عَاتِقِهِ مَخْلَاتُهُ الَّتِي جَعَلَ فِيهَا كُتُبَهُ. فَمَشَى يَوْمًا إِلَى أَنْ كَلَّمَهُ جَمَلٌ بِإِزَائِهِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَهْلٍ، اجْعَلْ مَخْلَاتِكَ عَلَيَّ لِتَسْتَرِيحَ مِنْ حَمَلِهَا»⁽¹⁾

هذه القصة خالية من كل تعليل للأفعال والأحداث، وإضافة إلى ذلك فإنها على ما يظهر تفتقر إلى نهاية، إلى تنمة أو تكملة. فكأنها والحالة هذه نص